الجزء الثاني من المحاضرات

المنهج العلمي بين الخطوات والعمليات

تمهيد:

يمثل المنهج الطريق أو المسار الذي يسلكه الباحث باختيار المعلومات التي يجمعها، وهو الطريقة المناسبة التي تؤدي بالباحث من مرحلة إلى مرحلة أخرى، لذلك فالمنهج العلمي هو عبارة عن عدد من الخطوات المنظمة التي تساهم في تنفيذ البحث بالأسلوب الصحيح، حيث يرى عامر مصباح بأن المنهج العلمي هو مجموعة الخطوات العلمية الواضحة والدقيقة التي يسلكها الباحث في مناقشته أو معالجة ظاهرة اجتماعية أو سياسية أو إعلامية معينة.

من أجل ذلك سوف نتعرف عن هذه الخطوات التي تعكس المنهج العلمي وضرورته في تحقيق البحث العلمي، إضافة إلى جملة العمليات الأساسية للمنهج العلمي، والتي تمثل القواعد والمبادئ والإجراءات التي يتخذها الباحث خلال مساره في دراسة الظاهرة.

1- خطوات المنهج العلمي:

إن تاريخ الدراسات المتعلقة بالمنهج العلمي توصل إلى أن أهم تطور للمنهج كان في القرن السابع عشر إذ قدمت الدراسات منهاجاً جديداً لتحصيل المعرفة وحل المشكلات التي تواجه المجتمعات الإنسانية، وفي هذا المنهج تم الجمع بين عمليات التفكير الاستنباطي والاستقرائي، وتتمثل خطوات المنهج العلمي فيما يلي:

أ- **الشعور بالمشكلة:** إن التفكير في حل المشكلة لا يبدأ من فراغ حيث أنه لا بد من وجود مشكلة تدفع إلى التفكير في حلها، وينشأ هذا الشعور نتيجة العجز عن الوصول إلى حلول ذاتية للمشكلة التي يواجهها، أو نتيجة الفضول لمعرفة الأسباب وراء ظاهرة ما.

ب- **تحديد وحصر المشكلة:** ويتم ذلك عن طريق جمع البيانات والملاحظات المرتبطة بالمشكلة ثم يقوم بفحص هذه المعلومات مما يؤدي إلى توضيح وتحديد المشكلة بدقة وهو ما يمهد الطريق إلى وضع الفروض لحلها.

ج- طرح الفرضيات: وهي خطوة هامة يقوم فيها الباحث باقتراح حلول ممكنة للمشكلة، وتسمى هذه المقترحات المؤقتة بالفرضيات حيث يهدف الباحث لاختبار صحتها عمليا، من خلال مجموعة من الإجراءات المحددة تسمح بالبحث عن أدلة تثبت أن النتائج المترتبة على الفرضية قد حدثت فعلا أو ينفي حدوثها، ومن هنا يتمكن الباحث من التعرف على الفرضيات التي تتفق مع الحقائق الملاحظة أي يقدم أصدق إجابة للمشكلة بعد استبعاد الفرضيات التي لا تتفق مع الحقائق الملاحظة.

د- اختبار صحة الفرضيات: وفي هذه الخطوة يختبر الباحث صحة فروضه عن طريق التجريب فإما يقبلها أو يتوصل لعدم صحة فروضه فيرفضها.

هـ- الوصول إلى نتائج أو حلول للمشكلة: يتوصل الباحث إلى نتائج البحث بعد اختبار صحة فروضه، حيث يرفض الباحث فرضا ويقبل فرضا آخر، أو قد يقبل جميع فروض بحثه، وبذلك يتوصل إلى حلول معينة حول مشكلة بحثه.

2- عمليات المنهج العلمي:

أ- الفهم والتفسير:

يعد الفهم أحد أهم عمليات المنهج العلمي إذ من خلاله يتمكن الباحث من استيعاب الأحداث الجارية من حوله، كما يتمكن من حل المشكلات التي قد تواجهه وهو ما يعني القدرة على التكيف مع البيئة التي تحيط به. ويقصد بالفهم تفكيك الموضوع أو الظاهرة لمعرفة مكوناتها وإدراكها، أي اكتشاف طبيعة الظاهرة الإنسانية من خلال المعاني المعطاة من طرف المبحوثين انطلاقا من الواقع المعاش لهؤلاء المبحوثين.

أما عن التفسير فتظهر أهميته من خلال كونه عملية ضرورية في مسار البحث العلمي الذي يركز على العلاقات القائمة بين الظواهر، فالعلاقة التي يبحث فيها هي العلاقة السببية بين الظواهر، أي تلك العلاقة التي تجعل ظاهرة معينة سببا في وجود ظاهرة أخرى أو عاملا رئيسيا في ظهورها. إذا التفسير هو عملية عقلية مركبة لمحاولة إيجاد قانون يحكم الظاهرة.

ب- المقارنة:

تتضمن عملية المقارنة تحديد أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين شيئين أو أكثر، مثل المقارنة بين فكرتين أو حادثتين، أو مؤسستين، أو شخصين للوصول إلى هدف أو قرار محدد، وتحتوي المقارنة دائما على الخصائص التي تتشابه والخصائص التي تختلف، لذا فهي تساعد في الفهم العميق والمنظم للأشياء المقارنة لاتخاذ قرار صائب أو إزالة الغموض.

ج- التصنيف:

يساعد المنهج العلمي على وصف الظواهر وكذلك تصنيفها وترتيبها، وتشير عملية التصنيف إلى العمل على تجميع الظواهر والأشياء و الموضوعات على أساس خصائصها المشتركة، أي وضعها في مجموعات بناء على عدد من الخصائص المشتركة، وهو ما يجعلها مألوفة لدى الباحث، من هنا تبرز أهمية عملية التصنيف لكونها تنظم وتسهل عملية التذكر وأيضا تحقق الأهداف بشكل أفضل.

د- الاستقراء:

يتناسب الاستقراء كعملية هامة مع إجراءات المنهج التجريبي، حيث ينتقل الباحث من دراسة جزئيات محدودة دراسة تجريبية مخبرية ليلاحظ ما فيها من قواسم مشتركة والنتائج التي أعطتها تلك الدراسة عن الجزئيات، ثم يقوم بصياغة القانون لتي يحكمها جميعا. أي أن الدراسة تقتصر على بعض العينات ثم تعمم النتائج.

هـ- الاستنباط:

إن عملية الاستنباط تقوم على أساس بأن العلاقات الممكنة بين الظواهر ماهي إلا بناءات فكرية يمكن التحقق منها في الواقع لاحقا، فالاستنباط هو استدلال مستمد من افتراضات ونظريات عامة بغية التحقق من صحتها في الواقع.

و- التجريب:

يعد التجريب من أدوات اكتساب المعرفة العلمية لكنه ليس الأداة الوحيدة، فالتجربة المخبرية تمثل دليلا على صحة المعلومات.

فإذا كانت معارف الإنسان تتخذ لها الحواس مصدرا فإن التجربة تعد برهانا على صدقها، إلا أنه غير منتشر استخدامها في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية بمثل ما هي تستخدم في علوم المادة والطبيعة نظرا إلى صعوبة قابلية موضوعات الأولى للتجريب، لذلك فإنه يستعملها الباحث عندما يريد قياس العلاقة بين السبب والنتيجة، ذلك لأن التجريب يسمح بفحص تأثير المتغير المستقل في المتغير التابع بصفة أكثر دقة.

وسائل المنهج العلمي

تمهيد:

تعد وسائل المنهج العلمي من الأدوات الهامة التي تساعد الباحث في تنفيذ بحثه ميدانياً، إذ يتمكن من خلالها بجمع البيانات والمعلومات، وليس هناك تصنيف موحد للوسائل التي سوف يستعملها الباحث، لذلك يتعين عليه أن يكون ملماً بطرق عديدة وأساليب مختلفة وأدوات متباينة كي يستطيع أن يتوصل لدراسة مشكلة بحثه والتحقق من فرضياته.

أولاً- الملاحظة:

تعتبر الملاحظة وسيلة هامة من وسائل جمع البيانات استخدمت في الماضي كما تستخدم في الحاضر لما لها من أهمية في الدراسة والبحث، يستعين بها الباحث لجمع المعلومات عن الأحداث والمواقف المحيطة بالأفراد والجماعات، وللتعرف عن ظواهر الحياة ومشكلاتها.

1- تعريف الملاحظة: تعد الملاحظة من أدوات جمع البيانات لأنها تفيد في جمع بيانات تتصل بسلوك الأفراد الفعلي في بعض المواقف الواقعية في الحياة بحيث يمكن ملاحظتها دون عناء كبير، أو التي يمكن تكرارها بدون جهد، كما أنها تفيد في الموضوعات التي يرفض المبحوثين الإجابة على أسئلة الباحث.

وتعرف الملاحظة بأنها توجيه الباحث لحواسه وعقله إلى طائفة من الظواهر من أجل الكشف عن مظاهرها ومحاولة فهمها وتفسيرها.

ويستخدم الباحث الملاحظة في الدراسات الكشفية والوصفية والتجريبية، ويجمع بيانات لها أهميتها بالنسبة لكل نوع من أنواع الدراسة. وينبغي على الباحث الذي يستخدم الملاحظة أن يحدد منذ البداية ما يلي:

- الوقائع التي يجب ملاحظتها.

- كيفية تسجيل الملاحظات.

- الإجراءات التي يجب اتخاذها للتأكد من دقة الملاحظة.

- نوع العلاقة التي يجب أن تقوم بين الملاحظ والوقائع الملاحظة، وكيفية تكوين هذه العلاقة.

2- أنواع الملاحظة: للملاحظة أساليب متعددة يتداخل بعضها في بعض ويختلف بعضها عن بعض ويمكن تصنيف هذه الأساليب رغم تعددها في نوعين هما:

أ- الملاحظة العادية (البسيطة): يقصد بالملاحظة البسيطة ملاحظة الظواهر كما تحدث تلقائيا في ظروفها الطبيعية دون إخضاعها للضبط العلمي، وبدون استخدام أدوات دقيقة للقياس للتأكد من دقتها وموضوعيتها.

يستخدم أغلب الناس هذا الأسلوب من الملاحظة في التعرف على كل ما يحيط بهم، كما يستخدمها الباحثون الاجتماعيون في الدراسات الاستطلاعية لجمع لبيانات الأولية عن جماعة معينة من الناس، في بيئة معينة وتحت ظروف معينة.

ويمكن أن تتم هذه الملاحظة بإحدى طريقتين:

✓ **الملاحظة بدون مشاركة:** وهي نوع من الملاحظة يقوم بها الباحث دون أن يشترك في أي نشاط تقوم به الجماعة موضوع الملاحظة، حيث يعمل الباحث على ملاحظة السلوك الفعلي للجماعة في صورته الطبيعية وكما يحدث فعلا في مواقف الحياة الحقيقية.

✓ **الملاحظة بالمشاركة:** وهي تتضمن اشتراك الباحث في حياة الناس الذين يقوم بملاحظتهم، وفي مختلف النشاطات التي يقومون بها لفترة مؤقتة، وهو ما يستلزم أن يصبح الباحث عضوا في الجماعة التي يقوم بدراستها وأن يسايرها ويتجاوب معها، ويخضع لجميع المؤثرات التي تخضع لها، كما يجب على الباحث أن لا يكشف عن هويته حتى يظل سلوك الجماعة تلقائيا، وقد يفصح عن هويته وشخصيته ويكشف عن غرضه من البحث، وبمرور الوقت تألفه الجماعة ويصبح وجوده أمرا طبيعيا.

ب- **الملاحظة المنظمة (العلمية):** تخضع الملاحظة المنظمة للضبط العلمي والتحديد الدقيق سواء كان ذلك بالنسبة للقائم بالملاحظة أو بالنسبة للأفراد الملاحظين، أو بالنسبة للموقف الذي تجرى فيه الملاحظة.

تتخصص الملاحظة المنظمة في موضوعات محددة سلفا، وتقتصر على إجابة الأسئلة أو تحقيق الفروض التي وضعها الباحث، وتستخدم كثيرا في الدراسات الوصفية، والدراسات التي تختبر فروضا سببية.

- وتتم الملاحظة المنظمة بالمشاركة حيث لا يستطيع الباحث أن يخفي حقيقة مهمته وهي القيام بالبحث، ومن الضروري أن يقدم نفسه للجماعة قبل بداية الملاحظة ويشرح الهدف الرئيسي من البحث.
- كما تتم هذه الملاحظة المنظمة بدون مشاركة حيث يقوم الباحث بملاحظة الأشخاص الذين تجري عليهم عملية الملاحظة دون أن يتمكن هؤلاء من رؤيته.

ويستعين الباحث في الملاحظة المنظمة بعدد من الوسائل التي تساعد في الوصول إلى أكبر قدر من الدقة العلمية، ومن أمثلة هذه الوسائل المذكرات التفصيلية، والصور الفوتوغرافية، والخرائط ونظام الفئات ومقاييس التقدير.

ثانياً- المقابلة:

تمثل المقابلة بأنها محادثة موجهة يقوم بها شخص مع شخص آخر أو أشخاص آخرين، هدفها الحصول على أنواع معينة من المعلومات لاستغلالها لبحث علمي أو للاستعانة بها في التوجيه والتشخيص والعلاج. فالمقابلة تنطوي إذا على محادثة بين شخصين أو أكثر في موقف مواجهة، إضافة إلى توجيه هذه المحادثة نحو هدف محدد، ووضوح هذا الهدف شرط أساسي لقيام علاقة حقيقية بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث.

1- تعريف المقابلة:

تعرف المقابلة بأنها محادثة هادفة بين طرفين، كما أنها تفاعل لفظي يتم عن طريق موقف مواجهة يحاول فيه الباحث أن يعرف معلومات أو تغييرات أو آراء أو معتقدات المبحوث أو المبحوثين، إضافة إلى حصوله على بعض البيانات التي تتعلق بموضوع بحثه.

وتتطوي المقابلة على فعل ورد فعل، سؤال وجواب على سلسلة من التفاعلات الاجتماعية التي تعتمد على مجموعة من الرموز السلوكية والكلامية يقوم بها أطراف المقابلة.

2- أهميتها: تتلخص في النقاط التالية:

- تمكن الباحث من الاتصال المباشر، والإلمام بظروف المبحوث اجتماعياً ومهنياً، وكذلك الكشف عن دوافعه ومشاعره واتجاهاته وقيمه ورغباته من خلال ردود فعله نحو الأسئلة الموجهة إليه.
- حديث مباشر حر يترك فيه للمبحوث حرية الاختيار المناسب فيما يرغب فيه من إجابات على الأسئلة المطروحة عليه من طرف الباحث.

- لديها مكانة خاصة لدى الباحثين بسبب سهولة استخدامها ومصداقية الحقائق التي تجمع بواسطتها.

3- أنواع المقابلة: تعددت تصنيفات الباحثين للمقابلة، حيث صنفت حسب الغرض منها، وحسب عدد الأفراد المشاركين فيها، كما صنفت حسب مدى مرونتها إلى ما يلي:

أ- المقابلة غير مقتنة: وهي مقابلة حرة مفتوحة غير موجهة حيث يكتفي الباحث بطرح أسئلة على المبحوثين غير محددة الإجابة، وتتصف هذه المقابلة بالمرونة لأنها تتيح للباحث طرح أسئلة لم يعدها مسبقاً.

ب- المقابلة المقتنة: هي مقابلة موجهة غير حرة لا يتصف بها أسلوب الباحث بالمرونة، تتسم أسئلة هذا النوع من المقابلة بأنها مغلقة ومعدة سابقاً، ولا يمكن للمبحوثين أن تكون لديهم حرية التعبير عن إجاباتهم بالأسلوب الذي يرونه مناسباً، حيث يتعين عليهم اختيار من الإجابات المعطاة لهم ما يتناسب مع اتجاهاتهم، كما أن أسئلة المقابلة غير قابلة للتعديل وقت إجراء المقابلة، ويتم طرحها وفق ترتيب سابق.

4- مزايا المقابلة: تنحصر أهمها فيما يلي:

- يتم تطبيق المقابلة في المجتمعات أين تكون نسبة الأمية مرتفعة.
- تتسم بالمرونة من حيث قدرتها على توضيح الأسئلة الغامضة ومعاني الكلمات.
- يتمكن الباحث خلال المقابلة من المواجهة المباشرة مما يسمح بالقيام بالملاحظة في نفس الوقت.
- تمكن من الحصول على الإجابات لجميع الأسئلة.
- من خلال المقابلة يستطيع الباحث شرح الأهمية العلمية والعملية للبحث تفادياً لكثرة تساؤلات المبحوث.

5- عيوب المقابلة: يمكن تلخيصها فيما يأتي:

- تحتاج إلى عدد كبير من جامعي البيانات وتدريبهم وهو ما يتطلب وقت طويلاً وإمكانيات مادية.
- كثرة تكاليف التنقل في التردد على المبحوثين، تأخذ وقتاً أيضاً.
- امتناع المبحوث على الإجابة عن الأسئلة التي قد يصيبه ضرر مادي أو أدبي إذا أجاب عليها لأن الباحث يعرف شخصيته.

ثالثا: استمارة الاستبيان:

الاستبيان وسيلة هامة من وسائل المنهج العلمي، وهو أيضا أداة أساسية في جمع البيانات يشيع استخدامها في البحث الاجتماعي، حين تكون البيانات المطلوبة لها صلة وثيقة بمشاعر الأفراد وآرائهم واتجاهاتهم نحو موضوع معين، وكذلك بالنسبة للحقائق التي يصعب الحصول على بيانات عنها بطريقة الملاحظة كالأحداث الماضية والمستقبلية.

1- تعريف الاستبيان: تعرف بأنها أداة لجمع البيانات ذات العلاقة المباشرة بالموضوع، فهي أداة مقننة تتضمن أسئلة مفتوحة، أو مقفلة، أو أسئلة متعددة الإجابات.

يتم ملؤها عادة من قبل المبحوث، أو الباحث في لقاء مباشر خاصة في المجتمعات التي تكثر فيها الأمية، أو يتم إرسالها بواسطة البريد الإلكتروني.

تخدم بيانات وإجابات الاستمارة أهداف البحث وفرضياته ومتغيراته، كما يمكن الاستبيان من الوصول إلى جميع المبحوثين المتفرقين مكانيا، والمتفرقين اجتماعيا واقتصاديا في وقت محدد وبأقل التكاليف.

2- أنماط الأسئلة: تختلف حسب موضوع البحث وأهدافه وجمهور جمع البيانات، والبيانات المطلوب تجميعها، وتتمثل فيما يلي:

أ- **أسئلة مفتوحة:** هي أسئلة يترك فيها للباحث حرية الإجابة على الأسئلة بالصورة التي يراها مناسبة.

ب- **أسئلة نصف مفتوحة:** هي أسئلة مغلقة في نصف السؤال الأول حيث توضع خيارات الإجابة للمبحوث، ثم يترك له حرية الإجابة لتفسير سبب خياره.

ج- **أسئلة مغلقة:** هي أسئلة لا يترك فيها للمبحوث حرية الإجابة وإعطاء المعلومات، حيث أن الباحث أعد مسبقا إجابات حول الأسئلة، وعلى المبحوث اختيار إجابة واحدة أو عدة إجابات.

3- بنود الاستبيان: تنقسم بنود استمارة الاستبيان إلى ما يلي:

- ✓ بيانات متعلقة بموضوع الدراسة، الباحث، المشرف، الجامعة، الكلية، القسم، السنة الجامعية.
- ✓ بيانات عامة: الجنس، السن، المستوى التعليمي، نوع الإقامة، عدد أفراد الأسرة، الدخل...
- ✓ بيانات متعلقة بالفرضية الأولى التي تربط العلاقة بين المتغير المستقل الأول والمتغير التابع.
- ✓ بيانات متعلقة بالفرضية الثانية التي تربط العلاقة بين المتغير المستقل الثاني والمتغير التابع.

4- عيوب الاستبيان: يمكن حصر عيوب استمارة الاستبيان في النقاط التالية:

- نطاقها البشري محدود ومحدد سلفاً.
- تكلفة ماديا وتحتاج إلى وقت عند إعدادها واختبارها من قبل.
- تولد الملل عند ملئها من طرف المبحوث والباحث خاصة إذا كان عدد الأسئلة كبيرا.
- الحصول على بيانات وإجابات ناقصة عند تركها لدى المبحوث من أجل ملئها.

رابعا: العينة:

يستخدم الباحث بالإضافة إلى الوسائل السابقة وسيلة العينة لأنه من الحكمة استعمالها، حيث يستحيل إجراء الدراسة على المجتمع بأكمله فنأخذ جزءا منه، بمعنى أن العينة هي الجزء الذي يؤدي إلى معرفة الكل بشرط أن تكون ممثلة تمثيلا صحيحا لمجتمع البحث.

1- تعريف العينة:

تعرف بأنها طريقة من طرق البحث وجمع المعلومات تستخرج من المجتمع الأصلي، كما يعرفها بعض الباحثين بأنها " مجموعة من الأشخاص الذين ينتمون لمجتمع البحث يتم اختيارها وفق معايير وشروط علمية دقيقة." وعليه يشترط في طريقة العينة شرطان أساسيان:

أ- تحديد المجتمع الأصلي

ب- تحديد حجم العينة

2- أنواع العينة: هناك نوعان من العينات وهما العينات الاحتمالية (العشوائية)، والعينات غير الاحتمالية (غير العشوائية):

2-1- العينات الاحتمالية: هي العينات التي يتم سحب مفرداتها بطريقة تتيح لكل مفردة من مفردات المجتمع الأصلي فرصة متكافئة عند الاختيار، فهي تخضع للأسلوب العلمي وتسمح بالتعميم. ونجد من بين هذه العينات الاحتمالية ما يلي:

أ- **العينة العشوائية البسيطة:** هي عينة تترك فيها لكل أفراد المجتمع الأصلي فرص متكافئة للاختيار، أي أن احتمال اختيار كل فرد من أفراد المجتمع الأصلي تكون متساوية. ويتم اختيارها إما بطريقة القرعة، أو باستخدام جداول الأعداد العشوائية.

ب- **العينة الطبقية:** في مثل هذا النوع من العينة يتم تقسيم العينات التي تؤخذ من المجتمع الأصلي إلى أقسام أو فئات سواء حسب السن أو المستوى التعليمي أو المهنة وغيره.

ج- **العينة المنتظمة:** يتميز هذا النوع من العينات بانتظام الفترات أو الأعداد بين وحدات الاختيار حيث تكون المسافة بين عدد وآخر واحدة في المجتمع الأصلي.

2-2- **العينات غير الاحتمالية:** هي العينات التي لا تخضع لأسلوب علمي في الاختيار لذلك فهي لا تسمح بالتعميم، وتتمثل في اختيار الباحث لأفراد العينة التي يراها تناسب بحثه، ويلجأ الباحث إليها عند عدم توفر الإمكانيات المادية والوقت. ونجد من بين هذه العينات ما يلي:

أ- **العينة العرضية:** هي العينة التي لا تمثل المجتمع الأصلي تمثيلاً صحيحاً، فهي تمثل نفسها فقط، فالباحث في هذه الحالة يأخذ العينة بطريقة الصدفة أي أنه يحصل على المعلومات من الأفراد الذين يصادفهم.

ب- **العينة العمدية:** وهي العينة التي يتم اختيار أفرادها بطريقة مقصودة عمدية حيث يتدخل الباحث مباشرة لاختيار المبحوثين الذين تشملهم عينة الدراسة، تستخدم هذه العينة خاصة في حالة تعذر سحب العينة عشوائياً.

الدعوة إلى استخدام المنهج العلمي في دراسة المجتمع

تمهيد:

عارض فريق من العلماء والفلاسفة في القرن الماضي فكرة تطبيق المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية لأنه كانوا يرونه أمرا لا يمكن تحقيقه لما بين ظواهر العلوم الطبيعية والاجتماعية من اختلافات وفوارق هامة، لكن هذا لم يمنع من وجود فريق آخر من العلماء الذين دعوا إلى إخضاع الظاهرة الإنسانية للبحث العلمي الدقيق بإتباع قواعد المنهج العلمي.

1- تعريف العلوم الإنسانية والاجتماعية:

العلوم الإنسانية والاجتماعية هي علوم موضوعها الإنسان وما يعيشه أو ينتجه من ظواهر سواء من حيث هو فرد أو من حيث هو يعيش في جماعة في ماضيه وحاضره.

ونجد في العلوم الإنسانية العديد من الفروع والتخصصات مثل الأنتروبولوجيا والإثنولوجيا والفلسفة وعلوم التربية وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والسياسة...

2- خصائص الظواهر الإنسانية والاجتماعية:

يعرف الإنسان من خلال معاشته لأقرانه وبيئته، وتفاعلاته اليومية ونشاطاته مجموعة من الظواهر والأحداث التي تدخل في نطاق دراسات العلوم الإنسانية، لذلك سوف نتطرق فيما يلي إلى خصائص ومميزات هذه الظواهر.

أ- داخلية: إن الظواهر الإنسانية ظواهر داخلية خفية، غير مرئية فهي تبدأ في عقل وشعور الفرد كمجرد فكرة أو رغبة.

ب- متغيرة: يعيش الفرد ظروف اجتماعية مختلفة ومتغيرة، فتتغير سلوكاته وتصرفاته حسب هذه الظروف.

ج- متشابكة: الظواهر الإنسانية والاجتماعية ناتجة عن عوامل عديدة متداخلة فيما بينها، لذلك يصعب على الباحث فصل تأثير كل عامل من العوامل التي تشارك في تكوينها وتحديد أي العوامل أكثر تأثيرا.

د- إرادية: إن الظاهرة الاجتماعية والإنسانية تصدر من ذات تتميز بالوعي والحرية والإرادة، فالإنسان كائن حر ومميز، وسلوكاته وتصرفاته ليست فطرية مثلما هو حال الكائنات الأخرى، وهذا ما يجعلها معقدة.

3- الدعوة إلى استخدام المنهج العلمي:

ساهم عدد كبير من المفكرين في الشرق والغرب في الدعوة إلى استخدام المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية والإنسانية، وفيما يلي عرض لطرق البحث وقواعد المنهج التي طالب البعض من هؤلاء استخدامها.

أ- عبد الرحمن بن خلدون (1332 - 1406 م):

كان ابن خلدون أول عالم دعا بصراحة ووضوح إلى استخدام المنهج العلمي في دراسة المجتمع حيث كانت الفكرة السائدة بين المفكرين قبل ابن خلدون أن ظواهر المجتمع خارجة عن نطاق القوانين وخاضعة لأهواء القادة وتوجيهات الزعماء والمشرعين ودعاة الإصلاح.

ويتلخص المنهج الذي حدده ابن خلدون فيما يلي:

- ملاحظة الظواهر ملاحظة مباشرة، حيث استفاد ابن خلدون من ملاحظاته للشعوب خلال أسفاره الطويلة في استقراء كثير من ظواهر المجتمع.
- تعقب الظاهرة الواحدة في تاريخ الشعب الواحد في مختلف الفترات التاريخية مع تحري صدق الروايات التاريخية.
- مقارنة الظاهرة بغيرها من الظواهر المرتبطة بها في نفس المجتمع وفي غيرها من المجتمعات.
- دراسة الظاهرة من الناحية الديناميكية (التطورية)، والاستاتيكية (المستقرة).
- استخدام مبدأ السببية للوصول إلى القوانين العامة التي تحكم الظواهر المختلفة.

ب- أوجيست كونت (1798 - 1857 م):

دعا أوجيست كونت إلى استخدام المنهج الوضعي (العلمي) في دراسة المجتمع، أي دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وصفية منظمة لمعرفة القوانين من خلال استخدام:

- **الملاحظة:** إذ يتوجب على العالم ملاحظة الظاهرة رغم صعوبة الأمر.

- التجربة: ويقصد بها كونت المقارنة بين الحالات الطبيعية والحالات الباثولوجية (المرضية).
- المنهج المقارن: من خلال المقارنة بين المجتمعات المختلفة للوقوف على أوجه التشابه والاختلاف بينها، فيستطيع الباحث أن يقارن بين الحالات التي توجد في وقت واحد وفي أماكن مختلفة من العالم.
- الطريقة التاريخية: ويهدف كونت من وراء استخدام هذه الطريقة الوصول إلى القوانين العامة التي تحكم الظواهر الاجتماعية في نموها وتطورها.

ج- إميل دوركايم: (1858-1917م)

اهتم بتحديد مناهج البحث التي ينبغي استخدامها في الدراسات الاجتماعية، ويعتبر كتابه " قواعد المنهج في علم الاجتماع " خير ما كتب في هذا المجال.

* ووضع دوركايم قواعد خاصة بملاحظة الظواهر تتمثل في:

- ملاحظة الباحث للظواهر الاجتماعية على أنها أشياء خارجية منفصلة عن شعوره الداخلي.
- ضرورة التحرر من كل فكرة سابقة على الظاهرة المدروسة.

* كما وضع قواعد خاصة بتفسير الظواهر الاجتماعية وهي:

- البحث عن السبب الفعال الذي يؤدي لوجود الظاهرة، والوظيفة التي تؤديها.
- يجب تفسير الظاهرة الاجتماعية بظاهرة اجتماعية مثلها.

وهناك قاعدة هامة ذكرها دوركايم خاصة بإقامة البراهين وهي طريقة المقارنة لأنها الوحيدة التي تتناسب مع طبيعة الظواهر الاجتماعية، وتكون المقارنة إما بين عدد كبير من الظواهر في مجتمع واحد فقط، أو بين عدد كبير من الظواهر في مجتمعات متجانسة، أو بين عدد كبير من الظواهر في مجتمعات غير متجانسة.

إضافة إلى ذلك ساهم العديد من العلماء الأمريكيين منذ الحرب العالمية الأولى في توجيه الدراسات الاجتماعية وجهة تجريبية امبريقية، كما حاولوا الكشف عن مناهج جديدة في البحث الاجتماعي، والابتعاد عن أساليب التفكير الفلسفي التي كانت سائدة من قبل.

4- الصعوبات المنهجية التي تواجه العلماء في ميدان الدراسات الإنسانية والاجتماعية:

إن الخصائص التي تتميز بها الظواهر الإنسانية والتي سبق ذكرها، هي التي تخلق صعوبات للعلماء في دراستها وتتجلى أبرزها في الآتي:

أ- **صعوبة الملاحظة:** ويقصد بها صعوبة تحديد العلماء لمفهوم الملاحظة وكيفية القيام بها.

ب- **صعوبة العزل والتجريب:** إن الظاهرة الإنسانية تشترك فيها العديد من العوامل وهو ما يخلق صعوبة عزل الظاهرة المدروسة بعيدا عن المحيط الذي توجد فيه.

ج- **صعوبة التعليل واستخلاص القانون:** ومعنى ذلك صعوبة فهم الظاهرة، وتفسيرها والوصول إلى القانون الذي يحكم سيرها وتكرارها ثم القدرة على التنبؤ بها.

د- **صعوبة تحقيق الموضوعية:** وذلك نتيجة صعوبة التخلص من الأيديولوجيات والميول والآراء وتأثير البيئة الثقافية والاجتماعية.

هـ- **صعوبة تحديد المفاهيم والمصطلحات:** حيث نجد المفهوم الواحد يأخذ عدة تسميات وأشكال وهذا في ميدان الدراسات الاجتماعية والإنسانية، عكس علوم المادة فإن لغتها واحدة وهي لغة الأرقام وهذا ما يجعلها واضحة.

و- **صعوبة تمويل البحث العلمي:** فإذا كانت التخصصات العلمية تشتكي من ضعف التمويل والدعم المادي، فإن العلوم الإنسانية تعاني من صعوبة الحصول على التمويل لأنها لا تنتج الأشياء المادية مباشرة كالسلع مثلا.